﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النّحل: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ارتباطُ مشيئةِ اللهِ تعالى القاهرة بالامتنان بنعمةِ الماء، الّذي به قوامُ حياة كلّ حيٍّ

لمّا ذكر اللهُ تعالى فيما مضى الأدلَّة الكافيةَ الدّالَّة على أنَّه الواحد المختار، وأنَّه وحدَه المستحِقُّ للعبادة، وأن لا وجودَ للشُّركاء معه، وشَرَعَ يوضِّح ذلك بتفصيل الآيات إيضاحًا، يَدَعُه في أتمِّ انكشاف في سياقٍ مُعدٍّ للنِّعم، مُذكِّرٍ بها، داعٍ إلى شُكرها، وكان ترتيبُ الكائنات الحيَّةِ في الشَّرف مبتدَأً بالإنسان، ثمَّ الحيوان، ثم النَّبات، فإنَّه بعد ذلك دلَّل على وحدانيَّته عن طريق خلق الإنسان، ثمَّ ما يليه في الشَّرف وهو الحيوان، بقي أن يدلِّل على وحدانيَّته وإنعامه عن طريق ما يليهما في الشَّرف، وهو النَّبات الَّذي هو قوامُ حياة الإنسان، وما به قوامُ حياته من الحيوان، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَرَابٌ﴾: الشَّراب ما يُشْرب من ماء وغيره، والشُّرْبُ معروف؛ وهو تناول كلِّ مائع، ماءً كان أو غيره، وسواءٌ أكان تناوله في الدنيا أم في الآخرة، والشِّرْبُ: النَّصيب من الماء، قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشُّعراء: 155].

والمُراد هنا: شارب الماء خاصّةً، وليس أيَّ مائع آخر، لقوله في الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

2) ﴿تُسِيمُونَ﴾: (السَّوْمُ) أصْلٌ يَدُلُّ على الذَّهاب في ابتغاء الشَّيء، فهو لفظٌ لمعنًى مُركَّبٍ من الذَّهاب والابتغاء، وأُجري مُجْرى

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 179، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 11/ 116.

الذَّهاب في قولهم: سامَتِ الإبل، فهي سائِمَةٌ، ومُجْرى الابتغاء في قولهم: سُمتُ كذا؛ ويُقالُ: سُمتُ الشَّيْءَ، أسومُهُ سَوْمًا، والسَّوائمُ والسّائمةُ: الإبل الرّاعِيَةُ، وأسامَها هوَ: أرعاها، وسَوَّمَها، وأسَمتُها أنا: أخرجتها إلى الرَّعْيِ، وليس من هذا الباب: السّومَةُ، وهِيَ العَلامَةُ تُجْعَلُ في الشَّيْءِ، هكذا قال ابن فارس، لكنَّ الزَّمخشريَّ له رأيٌ آخر؛ إذ يرى أنَّها من الباب نفسه، وأن ﴿تُسِيمُونَ﴾ هو من السَّومة وهي العلامة، لأنَّها تؤثِّر بالرَّعي علاماتٍ في الأرض[1]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾؛ أيْ: تَرْعَونَ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تتواصل الآياتُ في سياق المزْجِ بين أدلَّة القدرة وإبرازِ امتنان اللّه على عباده، لتحقيق المقصدِ الأسمى، وهو هدايةُ المخاطَبين إلى التَّوحيد، لتصِلَ إلى دليل إنزالِ اللّه تعالى الماءَ من السَّماء الَّذي ليس لأحدٍ فيه أيُّ مدخل، فإنَّ اللّه تعالى وحدَه هو الَّذي أنزله ليكون منه شرابُ النّاس، وشرابُ ما يحتاجه النّاسُ من الحيوان، وكذا ما يحتاجه النَّباتُ الَّذي ترعاه أنعامُهم؛ لتَدُرَّ عليهم بعد الشِّبع ألبانَها، وتجودَ عليهم بلحومها، فهذا كلُّه من إنعام اللّه وفضله.

الدَّمج بين غرض التَّدليل على القدرة، وإبراز الامتنان بالماء الَّذي هو عنصر الحياة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتة فصل الآية عن سابقتها:

نكتة الفصل في الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هي كونُها استئنافًا جديدًا، لذِكْر دليلٍ آخرَ قائمٍ بذاته على وحدانيَّته وقدرته وإنعامه، من مظاهر بديعِ خَلقِ اللّه تعالى[3]، ينضمُّ إلى جملة ما مضى ذِكرُه من أدلَّة.

الفصل للاستئناف مفيدٌ في الإبانة عن المُراد

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 2/ 597.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المُفردات: (سوم).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 113.

بلاغة الإدماج في الآية الكريمة:

الماء نعمة كبرى تطوي داخلَها نعمًا شتَّى

وفي الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ من البلاغة ما يُعرف بالإدماج، وهو أن يدمج النظم الكريم عددًا من الأغراض بعضِها في بعض، فالماءُ النّازل من السَّماء نعمة تستَبْطِن نعمًا، فالنّاس يشربونه، وكذا الحيوان والنَّبات يحيا به ليأكلَه النّاسُ والأنعام كذلك ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس: 32]، وبالنَّبات والحيوان قوامُ حياة الإنسان.

وفي هذه الآية قد أُدْمِجَت هذه النِّعم بعضُها مع بعض، تحت مظلَّة الماءِ النّازل من السَّماء فضلًا من الله ونعمة، مِمّا به قوام حياة النّاس وللنّاس أنفسهم[1].

نكتة القصر بتعريف طرفي الإسناد:

قصر الإفراد تخريجًا للكلام، على خلاف مقتضى الظّاهر

قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾، فيه قَصْرُ الإنزال على الله دونَ غيره، فهو من قَصْرِ الصِّفة على الموصوف، وهو قَصْرٌ إضافيٌّ، وهذا القَصْر مُستَفادٌ من صيغة تعريف المُسنَد إليه ﴿هُوَ﴾ والمُسنَد ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾؛ أيْ: هو لا غيرُه، وهذا قصْرٌ على خلاف مُقتضى الظّاهر؛ لأنَّ المُخاطَبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكًا في ذلك، ولكنَّهم لمّا عبدوا أصنامًا لم تنْعِم عليهم بذلك، كان حالهُم كحال مَن يدَّعي أنَّ الأصنام أنعمت عليهم بهذه النِّعم، فنُزِّلوا منزلةَ مَن يدَّعي الشِّركةَ لله في الخلق، فكان القصرُ قصرَ إفرادٍ تخريجًا للكلام على خلاف مقتضى الظّاهر[2].

فائدة التَّعريف بالاسم الموصول وصلته:

تعظيم المُعرَّف سبحانه، من أدب الكلام عن الحضرة الإلهيَّة

أفاد التَّعريفُ باسم الموصول في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾، تعظيمَ المُعرَّفِ سبحانه، ومدْحَه بما تضمَّنته جملة الصِّلة من

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 113.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 113.

الإنعام على الخلق بنعمة الماء النّازل من السَّماء؛ لتحيا به الأرضُ والنّاس والأنعام.

سرُّ التَّعبير بالفعل ﴿أَنزَلَ﴾ ماضيًا:

نِعَمُ اللهِ على خلقه مستمرَّةٌ منذ خلقهم

وفي التَّعبير بـ ﴿أَنزَلَ﴾ بصيغة الفعلِ الماضي، تغليبٌ للموجود على المعدوم، أو تنزيلُ منتَظَرِ الوقوع منزلةَ الواقع[1]، وفيه إشارةٌ إلى نعم الله على خلقه، وإرادتِه جَلْبَ النَّفع لعباده ودفع الضُّرِّ عنهم، وأنَّه ما خلقهم ليُشقيَهم، بل هيَّأ لهم كلَّ أسباب الرّاحة والاستقرار منذُ أن خلقهم.

معنى ﴿مِنَ﴾:

في الكلام استعارةٌ تبعيَّة حرفيَّة لها أثرٌ جميل في المعنى

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية؛ فبداية إنزال الماء من السَّحاب الَّذي في السَّماء، وفي لفظ ﴿مِنَ﴾ استعارةٌ تبعيَّة حرفيَّة؛ لأنَّ مبادي الماء لمّا كانت من السَّماء جُعل الماءُ نفسُه من السَّماء[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

السَّماء هي المعهودة المرئيَّة، مِمّا يُكوِّن القبَّة الفلكيَّة

جاءت (أل) في لفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ للعهد، في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، والمُراد بالسَّماء هنا معناها العُرفيُّ[3]؛ أي الَّذي كان يعرفه العربُ، وهو القبَّة الزَّرقاء المحيطة بالأرض.

نكتة المجازِ المُرسل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إيثار للتَّعبيرِ بالسماء دون التَّعبير بالسَّحاب، مع أنَّ الماء يتكوَّن فيه؛ لكون السَّحاب موجودًا في السَّماء فهو جزء منها، باعتبار أنَّ السَّماء كلُّ ما علا وارتفع، فهو مجازٌ مُرسل علاقتُه الكلّيّة، أو الحاليّة.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 231.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 231.
(3) القونويُّ، حاشية القونويِّ على البيضاويِّ: 10/ 486.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

قدَّم الجارَّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعول ﴿مَآءً﴾، فلم يَقلْ: (ماءً من السَّماء) للاهتمام، فتأخير المفعول الصَّريح عنه ليظمأ الذِّهنُ إليه فيتمكَّن أتمَّ تمكُّنٍ عند وروده عليه[1]، فالماءُ الكائن في الأرض إنَّما مصدرُه السَّماءُ، وما تمرُّ به دورةُ تكوين المياه معلومٌ حيث تتبخَّر مياه الأنهار والبحار بفعل حرارة الشَّمس، لتَتَكثَّف في السَّماء بما يُعرف بالسَّحاب، ثمَّ تنزلَ على الأرض مرةً ثانيةً بقَدَرِ اللّه تعالى، وهكذا دواليْك في دورة مُتكرِّرةٍ.

التَّقديم للاهتمام والتَّشويق ذو أثرٍ في السِّياق بليغ

نكتة تنكير: ﴿مَآءً﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿مَآءً﴾ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ للتَّفخيم والتَّعظيم وللدَّلالةِ على كثرته ووفرتِه، وإغنائه لكلِّ كائنٍ يحتاجه، وكلُّ الكائنات كذلك ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30].

التَّنكير للتَّفخيم والتَّعظيم مُعينٌ على فهم المُراد وتصوُّره

معنى اللّام في شبه الجملة ﴿لَّكُم﴾:

اللّام في قوله: ﴿لَّكُم﴾ هي لام الاختصاص، وهي اللّام التي تقع بين ذاتيْن وتدخل على مَن لا يُتصوَّر منه الملك، وعبَّر بها مع كون الماءِ شرابًا ليس مخصوصًا بالإنسان؛ لأنَّه هو المقصودُ هنا بخطاب الإنعامِ.

نكتة تقديم ﴿لَّكُم﴾:

شِبه الجملة: ﴿لَّكُم﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿شَرَابٌ﴾ وقُدِّم عليه للاهتمام، وللاختصاص أيضًا[2]، وفي هذا التَّقديم مزيدٌ من العناية بعباده، وأنَّه فعَلَ ما فعل لأجْلِهم ولأجل إسعادِهم.

اللّه لطيف بعباده، يمدُّهم بما يخبِيهم ويسعدُهم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 348.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 113.

نكتة فصل ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾:

نكتة فصل جملة ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ عن سابقتها، لِما بينهما من كمال الاتِّصال، فجملة ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ صفةٌ لـ ﴿مَآءً﴾[1].

دلالة (من):

(من) في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ للتَّبعيض؛ إذ المشروبُ بعضُ الماء المنزَّل[2]، لأنَّ بعضَ هذا الماءِ يُختزن في الأرض لينتفعوا به بعد ذلك، وبعضَه يذهب للزَّرع، وبعضَه للدَّوابِّ، وبعضَه لتخفيف مُلوحَةِ البحار.

الماء متعدِّد الاستعمالات، فمنه الشَّراب وغيره

نكتة تقديم شِبْهِ الجملة ﴿مِّنْهُ﴾:

قدَّم النَّظْمُ الكَريمُ شِبْهَ الجملة - الخبر - ﴿مِّنْهُ﴾ وهو المُسنَد، على المبتدأ: ﴿شَرَابٌ﴾ وهو المُسنَد إليه ليفيد الاهتمامَ، وقد يُفيد الحصرَ أيضًا، بالنَّظر إلى أنَّ أصل مياه العيون والآبار هو الماء النّازل من السَّماء[3].

الاهتمامُ وحصرُ أصل المياه كلها في الماء النازل من السماء

وقيل: إنَّ توهُّم حَمل التَّقديم على الحصر غيرُ واردٍ، فلا حاجةَ "إلى الاعتذار بأنَّه لا بأس به؛ لأنَّ مياهَ العيون والأبيارِ منه"[4].

غرض تنكير: ﴿شَرَابٌ﴾:

تنكير ﴿شَرَابٌ﴾ للتَّفخيم؛ بيانًا لدوره المهمِّ في حياة الكائنات، فيكون المعنى: ومنه شرابٌ، وأيُّ شراب، وذلك لأنَّ الشَّراب والسُّقيا هو المقصود الأوَّل بالنِّسبة لهم.

تفخيم أهميَّة الماء، وأنَّ السُّقيا هي المقصودُ الأوَّل من وجوده

دلالة الواو في: ﴿وَمِنْهُ﴾:

الواو في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُ﴾ للاستئناف أو للعطف، فعلى الاستئناف يكون المرادُ إضافةَ نعمةٍ جديدة على النِّعم السّابقة،

نِعَمُ الله على العباد تُرى، وتَتجدَّد ولا تَتبدَّد

(1) الخطيب وآخران، التَّفصيل في إعراب التَّنزيل: 7/ 126.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 229.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 229.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 100.

وعلى العطف يكون المُرادُ إشراكَها في التَّوزيع السّابق لأصناف هذا الماء.

دلالة جملة ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ بين الفصل والوصل:

تخريج الدّلالة البلاغيّة على أكثر من قولٍ من بليغ البيان

لا يكون فصلٌ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ إلّا بحَمل الواو على الاستئناف، وحَمل (من) على الابتداء أو السَّببيَّة، ومُسوِّغ الفصل – على هذا – بين هذه الجملةِ وجملة ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾، هو أنَّه لا يحسُنُ عطفُها عليها لاختلاف المعنى[1]، وأمّا على القول بأنَّ (من) للتَّبعيض، وهو وجْهٌ جائز[2]، فالواو للعطف، ومن ثمَّ فلا فصلَ، وستكون الجملةُ معطوفةً على سابقتها، وهي جملة: ﴿مِّنْهُ شَرَابٌ﴾[3].

دلالة قوله: ﴿شَجَرٌ﴾ بين الحقيقة والمجاز:

الشَّجر يُطلق على ما له ساق، وإطلاقُه على غيره مجازٌ أو تغليب

تُحمَل كلمة ﴿شَجَرٌ﴾ على ما له ساقٌ من أنواع النَّبات، وما ليس له ساقٌ يُقال له: النَّجم، وقد جُمع بينهما بغرض التَّفريق في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرَّحمن: 6]؛ وعلى هذا، فحَملُ لفظِ الشَّجر على ما لا ساقَ له كالكلأ الَّذي ترعاه الأنعامُ والدَّوابُّ من باب المجاز[4]، وقيل: إنَّ لفظ الشَّجرِ على حقيقة معناه؛ لأنَّ الإبل مثلًا – وهي من الأنعام – تقْدِر على رعي ورقِ الأشجار الكِبار[5].

والأوْلى حَملُ الشَّجر على مُطْلَق ما نَبَتَ من الأرض كما قال الزَّجّاج[6]، فإنَّه كما يُطلق على النَّبات ذي السّاق الصُّلبة يُطلق على مُطلَق العُشبِ والكَلَأ تغليبًا[7]، ويساعده أنَّ معنى شَجَر لغةً: ما

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 114.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 100.
(3) الخطيب وآخران، التَّفصيل في إعراب التَّنزيل: 7/ 126.
(4) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 8/ 113.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 180.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 511.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 114.

تداخل بعضُه في بعض لكثافته[1]، وهو وصفٌ يشمل ما له ساقٌ وما ليس له ساقٌ.

غرضُ تنكير ﴿شَجَرٌ﴾ في السّياق الكريم:

نُكِّر ﴿شَجَرٌ﴾ للتَّفخيم والتَّكثير، كما نُكِّر من قبله ﴿شَرَابٌ﴾، وهذا يدلُّ على تكثير وتفخيم شأنَ هذا الشَّجرِ الَّذي به تقوم حياتُهم، لِما فيه من منافعَ لا تُعدُّ ولا تُحصى.

تكثيرُ الشجر وتفخيم أمره

نكتة فصل ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾:

نكتة الفصل بين جملة ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، وجملة ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾، هي كونُها صفةً لها[2]، فتُرِكَ العطفُ لكمال الاتِّصال بين الجُملتيْن، إذْ لا عطفَ بين الصِّفة والموصوف؛ لأنَّها من التَّوابع.

إذا كانت الجملةُ موصوفةً وبعدها جملةٌ صفة فلا عطفَ بينهما

دلالة (في) في جملة ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾:

أصلُ (في) كما هو معلومٌ من معناها: الدَّلالة على الظَّرفيّة، وقد أفادت الظَّرفيَّة في قوله عزَّ من قائل: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أنَّ الإسامَةَ فيه تكون بالأكلِ منه، والأكلُ مِمّا تحته من العُشب[3].

الإسامَةُ الأكلُ مِمّا تحت الشَّجر من العشب

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿تُسِيمُونَ﴾:

تدلُّ مادَّة (سوم) كما مضى في شرح المُفردات، على الذَّهاب في ابتغاء الشَّيءِ[4]؛ أي: السَّعي والتَّكلُّف لطلبه وبذلِ الجُهد في سبيل الحصولِ عليه، وهي حالة أهل الصَّحراء الَّذين كانوا يرتحلون دومًا طلبًا للماء والكلأ، وهو ما تدلُّ عليه صيغةُ المضارع ﴿تُسِيمُونَ﴾ المفيدةُ للاستمرار والتَّجدُّد في طلب المَرْعى.

الإسامةُ هي السعي وبذل الجهد للحصول على الشيء

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿فِيهِ﴾ على الفعل ﴿تُسِيمُونَ﴾، فلم يأت

التَّقديم للاهتمام من رائع الكلام

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شجر).
(2) الهمذانيُّ، الكتاب الفريد: 4/ 103.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 114.
(4) الرّاغب، المُفردات: (سوم).

البيان القرآنيّ المُحكم: (تسيمون فيه) للدَّلالة على الاهتمام بأمر هذه النِّعمةِ العظيمة؛ وهي نعمةُ الشَّجرِ الَّذي ترعاه الأنعامُ، الَّتي هي من قَوام حياةِ النّاس، بأكلِ لحومها وشُربِ ألبانها.

دلالة موقع قوله: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، جاءت جملة ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ صفةً لـ ﴿شَجَرٌ﴾، وقيل: صفةً ثانية لـ ﴿مَآءً﴾[1]، ولذلك تُرِك العطفُ بينهما.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الزَّرع، والشَّجر، والنَّبات:

الزَّرعُ: الإنبات، وحقيقة ذلك تكونُ بالأمور الإلهيَّة دون البشريَّة، قال سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: 64]، وهو في الأصل مصدرٌ، ويُعبَّر به عن المَزْروع نحو قوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ [السَّجدة: 27]، وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الدُّخان: 26].

الــزَّرع أعــمُّ ويشمل بمعناه المــصــدريِّ كــلَّ مراحل الإنبات والــنُّــمــو حتَّى النُّضج

والنَّباتُ: اسمٌ لِما يخرج من الأرض من النّامِيات، سواءٌ أكان له ساقٌ كالشَّجر، أم لم يكن له ساقٌ كالنَّجم، لكن اختصَّ في التَّعارُف بما لا ساقَ له، بل قد اختصَّ عند العامَّة بما يأكله الحيوانُ، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النّبأ: 15][2]، وهو الزَّرع في أوَّل مراحله بعد أن تُشقَّ عنه الأرضُ ويبدأ ظهورُه، كما قال الجُرجانيُّ: "النَّبات: كمالُ أوَّل الجسم بشكلٍ طبيعيٍّ آليٍّ من جهة ما يتولَّد ويزيد ويغْتَذي"[3].

أمّا الشَّجر فكلُّ ما كان على ساقٍ من نَبات الأرْض، فهوَ شجرٌ[4].

(1) الخطيب وآخران: التَّفصيل في إعراب التَّنزيل: 7/ 126.
(2) الرّاغب، المُفردات: (نبت).
(3) الجُرجانيُّ، التَّعريفات، ص: 239.
(4) الكفويُّ، الكلِّيّات، ص: 523.

وبعد هذا العرضِ يظْهر لنا الآتي:

أوّلًا: أنَّ كلَّ ما يخرج من الأرض يُنْسَبُ إلى اللّه تعالى على سبيل الحقيقةِ فهو الزّارع سبحانه وهو المُنْبِت، قال تعالى في الزّرع: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: 63 - 64]، فقد نسب الحرثَ إلى المخاطبَين باعتبار مباشرتِهم له، بينما جعل الزَّرعَ له سبحانه وحدَه دون غيره، وكذا في الإنبات قال: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ﴾، والشَّجر تابع للمُنبَت والمزروع.

ثانيًا: أنَّ الإنبات يُطلق على بداية مرحلةِ الخروجِ من الأرض مُتدرِّجًا في مراحل النُّمو، في حين أنَّ الزَّرع أشملُ وأعمُّ من ذلك كلِّه، فهو يشملُ كلَّ المراحل من الإنبات إلى النُّضج، فمجموع ذلك يُسمَّى: زرعًا؛ باعتبار المعنى المصدريِّ لكلمة (الزَّرع).

ثالثًا: أنَّ الشَّجر يُطلق على ما لَهُ ساقٌ من الخارج من الأرض، وكلمةُ النَّبات تُطلق على ما لَه ساقٌ وما ليس له ساقٌ، وهو المعروف بـ (النَّجم)، وقد يتخصَّص أكثرَ، فيكون مُنصرفًا إلى ما يأكلُه الحيوانُ كالكلأ ونحوِه، وعلى هذا جرى عمل المُفسِّرين في التَّفريق بين الحبِّ والنَّبات في قوله تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النَّبأ: 15]، قال الزَّمخشريُّ: ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النَّبأ: 15] يريد ما يُتقوَّت من الحِنْطَة والشَّعير، وما يُعْتَلَف من التِّبن والحشيش[1].

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 68.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»